

المحاضرة الثامنة: التيار الادماجي

أحباب البيان و الحرية

مقدمة

ظهور البيان الجزائري.

موقف أحباب البيان من السياسة الفرنسية.

موقف أحباب البيان من الانتخابات في البلدية.

التيار اليميني في الحركة الوطنية الجزائرية تشتمل على وثائق هامة وذلك لتكتمل الصورة على هذا التيار اليميني، ويتضح جليا اتجاه فرحات عباس، ومحمد الصالح بن جلول، والدكتور ابن ثامي، وابن الحاج، وأضرابهم من دعاة : المساواة، والادماج، والتجنيس والفرنسة، والثورة بالقانون، والتحرر والاتحاد، وما إلى ذلك من الشعارات التي كانت تتشبه بالارتباط مع فرنسا، وتؤمن غاية الايمان بما تسميه : الرسالة التمدنية والحضارية لفرنسا في هذه البلاد.

1- مقدمة :

افتقرت الحركة الوطنية خلال إلى القيادة في الفترة الممتدة بين 1940-1942. فقد مات ابن باديس الذي كان محل تقدير الجميع تقريبا. ودخل مصالى الحاج السجن والمنفى، كما فقد الناس الثقة في ابن جلول الذي كان غامضا ومتذبذبا في المواقف خلال الثلاثينات، أما فرحات عباس فقد تطوع في الجيش الفرنسي و من ثم لم يكن معروفا على المستوى الوطني، و كان معروفا شخصيا و لكنه لم يدخل امتحان القيادة. و لذلك كان الجزائريون في حاجة إلى من يقودهم و يعبر عن رغباتهم. خلال هذه الفترة الحرجة التي ساد فيها الفراغ السياسي، فلا تجمعات و لا أحزاب و لا قادة، بل و لا حتى جريدة أو مجلة يلتفون حولها، دخلت الجزائر مرحلة جديدة من حياتها السياسية.

1- ظهور حزب البيان الجزائري

منذ 8 نوفمبر 1942 دخلت الجزائر مرحلة جديدة من تطورها السياسي؛ سيطر فيها الحلفاء من جهة و جنة فرنسا الحرة من جهة أخرى، و استمرت هذه المرحلة إلى نهاية الحرب و حوادث 8 ماي 1945. و قد تميزت هذه المرحلة من الجانب الوطني بمحاولة ملء

الفراغ على يد فرحات عباس، أما أعضاء حزب الشعب و جمعية العلماء المسلمين الجزائريين فقد كانوا مقيدين أو مبعدين عن المسرح السياسي. و تميزت الفترة بإطلاق العنان للشيوخيين ليستأنفوا نشاطهم. و قد ظهر خلال ذلك تيار وسط مثله البيان الجزائري الذي مثل التفكير المعتدل القائم على الطبقية و المصلحة الخاصة و مراعاة الظروف.

2- موقف أحباب البيان من السياسة الفرنسية

كان رد الجزائريين على أمر 7 مارس 1944 الرفض باستثناء الموظفين، وظهر فرحات عباس ليملاً الفراغ السياسي الموجود فألف منظمة أسماها أحباب البيان الجزائري، وهي المنظمة التي أصبحت نشيطة تستقطب آمال الجزائريين على مختلف اتجاهاتهم خلال الحرب وتعبر عن تمسكهم برفض السياسة الفرنسية وقد قامت بتعليق لافتات بالعربية في أهم المدن الجزائرية والتي تعلن "لا للجنسية الفرنسية نعم للجنسية الجزائرية وتسقط الجنسية الفرنسية وتعيش الجنسية الجزائرية للجميع." وقد قام فرحات عباس بالاتصال بمصالي الحاج في معتقله بقصر الشلالة وكذلك بممثلي العلماء وكون معهم جبهة موحدة أصبح هو المتحدث باسمها.

3- موقف أحباب البيان الجزائري من الانتخابات في البلدية

ظهرت منشورات سرية تنادي الجزائريين بمقاطعة الانتخابات البلدية التي كانت متوقفة، وأعلن فرحات عباس في يونيو 1944 أن الوضع خطير . وأنه لا يمكن الانتظار حتى تحرير فرنسا بينما الجزائر لاتزال أرضاً فرنسية، كما ناد الجزائريون بمقاطعة التصويت وعدم تسجيل أسمائهم في هيئة الانتخابات الفرنسية . وانطلقت أصوات العلماء تنعت من يقبل الجنسية الفرنسية بالكفر والخيانة، وقد وعد فرحات عباس أحباب البيان بأنهم يعملون على توزيع الثروات على الفلاحين وانهم يقفون ضد الإقطاع و الطبقات الممتازة وأنهم يهدفون إلى إقامة جمهورية جزائرية مرتبطة بفرنسا بعد أن تتحرر من فكرة الاستعمار الامبريالية . وما كادت سنة 1944 تنتهي حتى كانت الحركة الوطنية أكثر سياسة وأكثر دعماً وأعمق تجربة بالإضافة إلى أنها قد دخلت مع الفرنسيين عهداً من التحدي والمواجهة لم تعرفه من قبل ، وهو العهد الذي انتهى مجازر 8 ماي 1945.

4- البيان الجزائري

لعبت دعاية المحور و الحلفاء معا دورا في اذكاء الوعي القومي. بينما رمت ألمانيا بثقلها وراء بعض الجزائريين المتمردين على فرنسا، وكانت أمواج إذاعتهم تدعو العرب للثورة و تعد الوطنيين بتحقيق مطالبهم إذا ثاروا على فرنسا. أما المحور فكان ييث دعايته ضد الحكم النازي و حكومة فيشي و كثر الحديث عن الحرية، و الاستقلال و تقرير مصير الشعوب. هذه الدعاية هي التي شجعت فرحات عباس على الاتصال بالممثل الأمريكي السيد مورفي. ليعبر له عن رغبة الجزائريين في مساعدة الحلفاء لهم من أجل الحصول على استقلالهم.

كان رد مورفي أن بلاده تهتم أولا بالقضاء على النازية و ترجو مساعدة الجميع. و بعد هذه اللقاء ان شرع فرحات عباس في تحرير البيان الجزائري بعد استشارات واسعة مع ممثلي حزب الشعب الجزائري و جمعية العلماء المسلمين الجزائريين. و قد أقام عباس البيان على الوثائق الجزائرية السابقة مثل مطالب النخبة، و المؤتمر الإسلامي، و مبادئ حزب الشعب و أفكار الثورة الفرنسية. واستمر في العلاقات الجزائرية الفرنسية و بين أنها تقوم على حرمان الجزائريين من جميع الحقوق. و احتوى البيان على خمسة أقسام، تعرض فيها إلى وضع الجزائر منذ احتلالها حتى مجيء الحلفاء، ثم استعرض العلاقات الجزائرية الفرنسية منذ 1830 التي قامت على التفرقة العنصرية، ثم فشل الإصلاحات السابقة و اندلاع الحرب العالمية الثانية ثم في الأخير ركز على مطالب الجزائريين الأساسية. و يمكن تلخيص البيان فيما يلي:

- إزالة الاستعمار
- تطبيق مبدأ تقرير المصير على جميع الشعوب
- منح الجزائر دستورها الخاص خارج الدستور الفرنسي يضمن مساواة و حرية جميع السكان
- المشاركة الفورية و الفعالة للجزائريين في حكومة بلادهم.
- تحرير كل المحكوم عليهم و المساجين السياسيين من جميع الأحزاب.
- و كان البيان قد صدر في 10 فيفري 1943 و وقعه 22 شخصا باسم بيان الشعب الجزائري فبراير 1943.

5- الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري 1946-1954.

5-1 تأسيس الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري

بدر فرحات عباس عند خروجه من السجن في أبريل 1946 إلى تأسيس الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري، وأخذ بجمع المناضلين في إطار الاتحاد وفق برنامج البيان الجزائري، وانظم إليه كل المناضلين من النخبة الجزائرية؛ الذين كانوا قد ساهموا في البيان الجزائري، ومنهم المحامين من أمثال بومنجل وقدور ساطور، والأطباء مثل سعدان وابن خليل وأحمد فرنسيس وغيرهم. وأصدر عباس بيانا ندد فيه بالجرائم الاستعمارية في مجازر 8 ماي 1945 وبين أنه بذل جهدا من أجل التعاون الفرنسي الإسلامي، وبراءة أحباب البيان من تلك الجرائم، وأنهم نظموا مظاهرة سلمية، ولم يدعوا إلا للسلام والهدوء والاتحاد والتفاهم المتبادل بين الأوربيين والجزائريين.

5-2 برنامج الاتحاد

لقد ركز الاتحاد الديمقراطي على محتوى البيان الجزائري، وأكد أنه يعمل على تحقيق المساواة والحرية وأنه يرفض الإدماج، والانفصال عن فرنسا، ذلك أن الشعب الجزائري في نظره حديث النشأة بالديمقراطية والعلوم والصناعة، يشترك مع أمة كبيرة حرة، ويحتك بديمقراطية فرنسية عريقة. وأكد أن هذا هو تصور حركته وتعبيرها. واتخذ عباس احتياطاته من حركة الانتصار، والعمل على التفاهم بين الجزائريين والأوربيين في إطار دولة حرة مرتبطة مع فرنسا. وقد جاء برنامجه واضحا في وثائقه خاصة في:

-Resolution de politique générale- Votée par le Congrès interfédéral de L'UDMA (3-5 octobre 1947 Blida).

-Extrait de la Resolution votée au congrès de l'UDMA Setif (25-27 septembre 1948.)

تقرير فرحات عباس للمؤتمر الوطني الأول لحزب الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري سطيف
سبتمبر 1948.

تقرير قدمه فرحات عباس الكاتب العام للحزب الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري، إلى المؤتمر الوطني الأول لهذا الحزب في المجلس البلدي لمدينة سطيف أيام 25 و 26 و 27 سبتمبر 1948، ويقع في 32 صفحة ويحمل عنوان نظرات في حاضر الجزائر ومستقبلها، الذي يدعو صاحبها الى مقت العنف، ويؤمن الثورة بالقانون وبالتعاون اللامحدود مع الديمقراطيين والديموقراطية الفرنسية، وينتمى أتباع هذا الحزب إلى الطبقة البرجوازية الصغيرة، خاصة أصحاب الشهادات المشيعين بالثقافة الغربية الفرنسية.

ومما جاء في هذا التقرير فيما يخص تكوين الدولة الجزائرية التي يدعو إليها ضمن جمهورية فرنسية مجددة مضادة للاستعمار، قوله: «غير أنه ينبغي ألا تكون هذه الدولة المنتظرة سلطة إسلامية، ولا دومنيونا يكون للأوروبيين فيها حق الاحتكار المطلق بل ينبغي أن تكون هذه الدولة جمهورية ديموقراطية اجتماعية على أساس اتحاد أخوي بين جميع الجزائريين مهما كانت جنسياتهم ودياناتهم، وعلى أساس إعطاء كل ذي حق حقه من السيادة».

ومن أغرب ما ورد في هذا التقرير، دعوته الجزائريين إلى عدم استعمال العنف، والثورة ضد فرنسا، زاعما أن مصير كل الدول التي عرفتها الجزائر كان الزوال. بسبب انفصالها عن الدولة الأم التابعة لها في روما، وقرطاجنة، والقاهرة، وبغداد واسطنبول. وفي نظره أن فرنسا هي الدولة الأم للجزائر، والثورة ضدها سيؤدي إلى انهيار الجزائر ووقوعها في أيدي قوى أخرى.

ولهذا خاطب الجزائريين قائلا: "فاجتنبوا إذن كل سلوك غير معقول ضد الشعب الفرنسي. وزاد هذا التقرير فكرة الحزب والتيار وضوحًا فقال: «نعم ! نحن ما وعدنا بانسحاب فرنسا والفرنسيين غدًا أو بعد غد، وما بعنا بالمزاد السري مزارع المستعمرين، ووزعنا أراضيهم على من يمنحنا السعر المرتفع. وما عيننا عمالا يتولون الحكم في وقت معين بدل العمال الحاليين،

وما قسمنا الوزارات في حكومة جزائرية مؤقتة لا وجود لها. وما اختلسنا أموال الفلاحين الفقراء لكراء مركب يزودنا بالأسلحة. وما قسمنا الشعب الجزائري إلى كتلتين دينيتين متخاصمتين، راجعين بهم إلى العصر الوسيط عصر الحروب الصليبية. فالشعوب في نظرنا كيفما كانت ديانتها لا تخلو من الديمقراطيين والمستعمرين المتسلطين. فالأولون أصدقاؤنا ولو كانوا مسيحيين، والآخرون أعداؤنا ولو كانوا مسلمين».

"فالحديث اليوم عن كتلة مسيحية، وكتلة إسلامية حديث لا طائل تحته لأنه وجد على البسيطة أناس تحت السيطرة والظلم يكافحون من أجل ديمقراطية صحيحة، كما يوجد في كل مكان من يتمتعون بامتيازات هائلة، ويحتكرون الحرية العامة لمصلحتهم الخاصة. ومعنى هذا أننا ضد المغامرة والمغامرين الذين عرفت فريقا الشمالية منهم أمثالا كثيرة في تاريخها. فماذا خلف وراءهم أمثال أولئك الذين قلوبا الدين وسيلة لإرضاء أطماعهم في السيادة؟ يا له من دور خبيث لعبه ضد وحدة البلاد بوغلة، وبو حمارة، وبو لحية (الذين حصلوا في وقت ما على ثقة الجماهير الغافلة، لكن باؤوا في النهاية بسوء المصير، وسخط الناس، بعد أن حاربوا الوطن وجلبوا عليه البؤس والشقاء».

"إننا لا ندعو إلى الجهاد، فليس ذلك من دأبنا، ونحن نتزه المساجد عن الصلوات لغير الله، بل للناس للتغريب بهم. إن المسجد بيت الله، وليس هو ميدانا للمناورات الانتخابية، ولا مكتباً تعطي فيه شهادة استحسان الإدارة. هكذا تفهم المسألة وبهذا نعمل"

- موقف الاتحاد الديمقراطي من التيار الاستقلالي

وإذا كان هذا هو موقف الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري من فرنسا وفرنسي الجزائر، حتى بعد الحرب العالمية الثانية، وبعد مجازر 8 ماي (1945م)، فيما هو موقفه من التيار الاستقلالي

الحق أن موقفه يدعو إلى الدهشة والاستغراب، وإلى الرثاء في الوقت نفسه. ويثير علامات استفهام كثيرة قد لا تجد الجواب عنها، قبل نشر مذكرات رجال هذا التيار الاستقلالي، ومسيره ذلك أنه سرد سرد أحداثا ووقائع، يبدو أنها لا تنسجم ولا تتلاءم إلا مع التلاعبات الحزبية، والمكر السياسي، والجدل الحزبي العقيم. ذلك أنه ليس من السهل، وليس من اليسير، التصديق بأن التيار الاستقلالي كان يتأمر مع الإدارة الاستعمارية، ولعبة في يدها،

وهي تكرهه في الدم، وتشن ضده حروبا شعواء لم تنته إلا بعد تفجير ثورة أول نوفمبر (1954م) المباركة.

يكشف لنا تقرير السيد فرحات عباس بوضوح، عن ايديولوجيته المتساهمة المتخاذلة، والمتواطئة مع أعداء البلاد. كما تكشف عن العمى الحزبي المكشوف، وعن مدى حقه السياسي ضد التيار الاستقلالي، الذي تجاوز الحف وخرج عن المنطق السليم، واتساق وراء أفكار استعمارية غير قابلة للتطبيق. ولا للتصديق.

- أيديولوجية البيانين

والخلاصة التي نخرج بها من خلال هذا العرض لوثيقة البيانين، هي أن البديولوجية الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري، تبنى على ركائز ودعائم ثلاث لم تغير حتى انقضى عام كامل من اندلاع الثورة الجزائرية عام (1954م). وهي:

أولا: الإيمان الأعمى برسالة فرنسا الحضارية التمديدية التي لا غنى عنها في هذه البلاد.

ثانيا: ربط مستقبل الجزائر بالديموقراطية الفرنسية، والجالية الأوروبية المسيحية بها، في إطار الاتحاد الفرنسي، أو الكنفدرالية الفرنسية، أو أي شكل آخر من هذا النوع لا يسمح باستقلال الجزائر، وانفصالها عن فرنسا.

ثالثا: عدم اللجوء إلى العنف، والثورة ضد فرنسا، مهما كانت الأمور، وذلك في إطار شعار: (الثورة بالقانون).

وقد كشفت الأحداث والوقائع عن إفلاس هذه الإيديولوجية، واعترف زعيم هذا تيار، بذلك في كتابه: ليل الاستعمار، وأكد فوق هذا أن الذين أعدوا لثورة أول نوفمبر ونفذوها وفجروها، ليسوا من حزبه، وإنما هم من التيار الاستقلالي خصومه السياسيين، وهي شهادة لها وزنها قد تغفر له ما وقع من أخطاء وما ادعاء وزعمه من أقوال بعيدة عن الحقيقة والواقع في معظمها.